المحاضرة الثانية: القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر

توطئة:

يستمد الشعر عموما والمعاصر منه بالخصوص وجوده من أحداث وقته، وذلك باختيار الكلمة المعبرة الموحية، وتصويره للأحداث تصويرا فنيا جماليا، ولقد سخر الشعراء منذ قديم الزمان شعرهم للتعبير عن قضايا قومهم وتأريخ أحداث أوطانهم، وعلى هذا الأساس سجلت القضية الفلسطينية كإحدى قضايا العصر التي تصدى الشعراء للذود عنها، وتسجيل أحداثها الدامية ومحنتها السياسية، هذا لأنها أرض مباركة مقدسة أرض الإسراء والمعراج.

أولا: القضية الفلسطينية شعرا مأساويا:

لقد هب الشعراء العرب منذ إعلان الكيان الغاصب لاحتلال فلسطين نصرة لها وتمكينا لقضيتها، فقد عبر "عمر أبو ريشة" عن ألم ضياع فلسطين عندما قال:

أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم

أتلقاك وطرفي مطرق خجلا من أمسك المنصرم

ألإسرائل تعلو راية في حمى المهد وظل الحرم

كيف أغضيت على الذم ولم تنفضي عنك غبار التهم.

وعلى هذا الأساس تحولت القضية الفلسطينية من شعر سياسي إلى شعر تراجيدي مأساوي، فقد صور لنا الكثير من الشعراء العرب القضية ومجازر الاحتلال، فهذا صلاح عبد الصبور يروي لنا أحداث القضية بحرقة ويدعو فيها العرب للثأر:

كانت له أرض وزيتونة

وكرمة وساحة ودار

وعندما أوفت به سفائن العمر إلى شواطئ السكينة

وخط قبره على دار التلال

انطلقت كتائب التتار

تذوده عن أرضه الحزينة

لكنه خلف سياج الشوك والصبار

ظل واقفا بلا ملال

يرفض أن يموت قبل الثأر

ياحلم يوم الثأر

ومن شعراء فلسطين الذين عبروا عن قضيتهم نجد محمود درويش، الذي سخر قلمه للحديث عن قضية وطنه، وقد سجلت لنا قصائده مأساة الأرض والشعب، كما دعت أيضا قصائده للمقاومة ومناهضة الصهونية، يقول محمود درويش:

سجل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألفا

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف فهل تغضب

سجل

أنا عربي وأعمل مع رفاق الكدح في محجر

وأطفالي ثمانية

ولا أتوسل الصدقات

من بابك ولا أصغر

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب

وفي هذا السياق عبرت كذلك فدوى طوقان عن مأساة الأرض المسروقة فلسطين، وصورت لنا معاناة المضطهدين من التشرد والترحيل والنزوح ، تقول:

وشرعت جهنم أبوابها

وابتعلت براعم الصبا الطرى في أقبابها

ولم تزل هناك

على شفاه الفتية الفرسان

وأن تطفئوا الشمس، وأن...

تحسبوا الرياح

أن تسترجوا البحر أن

تنطقوا التمساح

أهون ألف مرة من أن تيمنوا باضطهادكم

وميض فكرة وتحرفونها عن طريقنا الذي اخترناه

قيد شعرة

ثانيا/ تحول القضية إلى رمز وأسطورة:

اتخذت القضية الفلسطينية شكلا شعريا آخر، حيث تحولت إلى رمز لكل مأساة ولكل أرض مغتصبة، إنها رمز للظلم رمز لتخلي الإخوة عن أخوتهم، من ذلك ما جادت به قريحة الشاعر نزار قباني، ففي مدخل ديوانه ثلاثية أطفال الحجارة يرى أن أطفال فلسطين نقلوا الشعر العربي وأدخلوه في حداثة جديدة حداثة المعاناة الواقعية والثورية، يقول نزار قباني عنهم:

بهروا الدنيا

ومافي يدهم إلا الحجارة

وأضاءوا كالقناديل

وجاءوا كالبشارة

قاوموا....

وانفجروا...

واستشهدوا

وبقينا دببا قطبية

صفحت أجسادها ضد الحجارة.

لقد أصبح أطفال الحجارة هنا رمز للنور وللملحة التي يخوضها الأطفال الكبار كل يوم، كما أصبحت القضية أيضا رمزا للنزوح والتهجير، فهم الشعب الوحيد في المعمورة الذي هجر مرغما من أرضه وشتت في أوطان غيره، وهنا نجد الشاعر عبد الكريم الكرمي يصف حال النزوح بقوله:

لغة الدمع أم بيان الجراح وحيدي اليتم أم أنين الأضافي

يافلسطين أين تربتك العذراء تغتضها يد المجتاح

حر قلبي على التراب خضيبها بشظايا الأعراض والأرواح

أيها النازوح كيف تهاويتم نجوما على غريب البطاح

ليتكم في ملاعب الحرب كنتم في فلسطين وحدكم في الساح

لو حملتم عبء القضية أنتم وكفرتم بعصبة الأشباح

لجلوتم عرائس المجد فوق الأفق بين السني وخفق الوشاح

أو دفنتم هناك في تراب طهرته الدماء قبل البراح

أيها النازحون ماذا لقيتم غير دنيا الآلام والأتراح

وحملتم ذل السؤال ثقيلا بعد تاريخ ثورة وكفاح

خاتمة: لقد أمدت القضية الفلسطينية الشعراء بمادة شعرية غزيرة، ففيها يجب أن ينتصر للمظلوم، وأن يحن الغريب عن بيته لبيته، وأن يلتزم الوطني بوطنه، وأن

تثور العاطفة القومية، وهنا تحمل الشاعر مسؤوليته التاريخية والقيمية فاستوعب القضية كتابة وتحريرا، فكان صورة صادقة للوقائع الجارية في أراضي الرباط، مما جعل للقضية الفلسطينية حضورا دائما في الشعرية العربية المعاصرة.